بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخراشي، سليمان بن صالح

المنتقى من أمثال العرب وقصصهم / سليمان بن صالح الخراشي.

الرياض، ١٤٢٨هـ

٢٠٥ ص ؛ ... سم

ردمك: - ١٦٦ - ٥٣ - ٩٩٦٠

١. الأمثال العربية ٢. القصص العربية أ. العنوان

ديوي ٨١٨,٠٢ ١٤٢٨/٨٤٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٨٤٨

ردمك: - ١٦٦ - ٥٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر

جدة . هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١

الدمام . هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة . هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

خميس مشيط . هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-algassem.com

sales@dar-algassem.com

المقدمة(*)

أمـــا بعد حمدِ الله بجميـــع محامده، والثناء عليـــه بما هو أهلُه، والصلاة على رسوله المصطفى وآله وصحبه:

فهذا كتاب ســـميته: **[المنتقى من أمثال العرب وقَصَصهم]** أودعته ماوقع عليه اختيـــاري، لا من كلمي وأقوالي، فليس لي في تأليفه مـــن الافتخار أكثر من الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله، تدلُّ علـــى تخلّقه على وفَضْله، وفضيلة هـــذا التأليف هي في جمع ما افترق، وتهذيب ما تناســـق واتسق، واختيار عيون، وترتيب فنون، من أمثال رائقة، وقصص ماتعة فائقة.

أمـــا الأمثال فقد انتقيتها من كتـــاب «مجمع الأمثال» للميداني ـ رحمـــه الله ـ، الذي قيل عن كتابـــه بأنه: «أتى على جميع قصص الأمثال التـــي زادت في مجمعه على نيّف وســـتة الآف، وهذا لم يحدث في كتب أخـــرى للأمثال». وقيل عنه: «إن هذا الكتاب هو ديوان المثل العربي دون شك أو منازع»(١).

(*) اســـتفدتها بتصرف وزيادة مـــن مقدمة ابن قتيبة لـــ: «أدب الكاتب»، وأحمد الهاشمي لـ: «جواهر الأدب».

(١) «الأمثال العربية ومصادرها في التراث» للدكتور محمد أبو صوفة (ص ٩٧ ـ ٩٨). ورسالته هذه مفيدة لمن أراد معرفة ما ألف في الأمثال العربية، مع وصف لكل كتاب. وللدكتور أميل بديع يعقوب: «موســـوعة أمثال العرب» فـــي (٧ أجزاء). وللدكتور محمد موســـى الشريف «معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة» إصدار دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ، رسالة مختصرة مفيدة للكتاب المعاصرين.

وأما القصص فقد استفدتها من الكتاب السابق، ومن كتاب «قطوف الريحان من زهر الأفنان» للشيخ أحمد بن محمد الأمين الجكني، وكتاب «قصص العرب» (٤) مجلدات، لمحمد أبي الفضل إبراهيم وصاحبيه[١].

هادفاً من هذا المنتقى إلى تقريب مناسبات هذه الأمثال والقصص الشهيرة للقراء، لعلهم يجدون فيها شيئاً من الفائدة الميسرة.

وليُعلم أني أبقيت على شرح غريب الكلمات، وأضفت التوثيق المختصر لما يمر من أحاديث يوردها الميداني في كتابه.

مع التنبيه إلى أن بعض القصص تحكي الحال الذي كان عليه العرب قبل أن يعزهم الله بالإسلام، وينقلهم ـ به ـ من الضلالة والغواية إلى الهدى والرشاد، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والله الموفق لأقوم حال، وأنجح مآل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) للدكتور قصي الحسين: «جمهرة قصص العرب» (٤ أجزاء) صدرت عام ١٩٩٩م؛ لكنه توسع كثيراً في القصص الأدبي العاطفي على حساب قصص العرب التاريخية.

أولاً

الأمثـــال

إنَّ البُغاثَ بأَرضِنا يَسْتَنْسِرُ

البغاث: ضربٌ من الطير، وفي الباء ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، والجمع بِغْثَان، قالوا: هو طير دون الرخمة، واستنسر: صار كالنَّسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

يُضرب للضعيف يصير قويّاً، وللذليل يعزّ بعد الذل.

إنَّ وَرَاءَ الأَكَمةِ ما وَرَاءَهَا

أصلُهُ أن أَمَةً واعدت شخصاً أن تأتيه وراء الأكمة، إذا فرغت من مهنة أهلها ليلاً، فشغلوها عن ذلك بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غلبها الشوقُ: حبستموني وإنَّ وراء الأكمة ما وراءها.

يُضرب لمن يُفْشي على نفسه أمراً مستوراً.

إنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

يُقال إن أول مَنْ قال ذلك أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فيما ذكره ابن عباس، قال: حدثني عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لمّا أمر رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب

خرج وأنا معه وأبوبكـــر، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبوبكر ـ وكان نَسَّـــابة ـ فسلَّم فردُّوا عليه السلام، فقال: ممن القـــوم؟ قالوا: مـــن ربيعة، فقال: أمنْ هامتهـــا أم من لَهاَزمها[1]؟ قالوا: من هامتها العظمى. قال: فأيُّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذُهْلٌ الأكبر، قال: أفمنكم عَوْف الذي يقال له لَاحُرّ بِوَادِي عَوْف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بسْـــطَام ذُو اللِّواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا؟ قال: أفمنكم جسَّـــاس بن مُرٍّ حامي الذِّمار ومانعُ الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحَوْفَزَان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قـــال: أفمنكم المزدَلف صاحب العمامة الفَـــرْدة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كِنْدة؟ قالوا: لا، قال: فلستم ذُهْلا الأكبر، أنتـــم ذهل الأصغـــر، فقام إليه غلام قد بَقَلَ وَجْهـــهُ يقال له دَغَفَل فقال:

إن عَـــلَـــى ســـائِـــلِـــنَـــا أنْ نَـــسْـــأَلَـــهْ
وَالْـــعَـــبْء لَاتَـــعْـــرِفُـــهُ أوْ تَحْـــمِـــلَـــهْ

يا هذا، إنك قد ســـألتنا فلم نســـتكتمك شيئاً فمن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش، قال: بخ بخ أهل الشـــرف والرياسة! فمن أي قريـــش أنت؟ قال: من تيم ابن مُرَّة، قال: أمْكَنْتَ والله الرامي مـــن صفاء الثغرة[2]، أفمنكم قُصَيّ بـــن كلاب الذي جمع القبائل من فِهْر وكان يدعي مُجَمِّعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشـــم الذي

(١) اللهزم: الرجل الأكول وجمعه لهازم.

(٢) الثغرة من البعير: هزمة ينحر منها، وصفاؤها: وسطها.

هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُون عِجَاف[١]؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبة الحمد مُطْعم طير السماء الذي كأن في وجهه قمراً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المُفِيضينَ بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل النَّدْوَة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرِّفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحِجَابة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السِّقاية أنت؟ قال: لا، واجتذب أبوبكر زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال دَغْفل: صادَف دَرْء السيل دَرْءًا يصدعُهُ، أما والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعَات قريش، أو ما أنا بدغفل! قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ، قال عليّ: قلت لأبي بكر: لقد وقَعْتَ من الأعرابي على باقعة، قال: أجَلْ إن لكل طامة طامة، وإن البلاء مُوَكَّل بالمنطق.

إنَّ النِّساء لَحْمٌ عَلَى وَضَم

الوضم[٢]: ما وُقِيَ به اللحمُ من الأرض، وهذا المثل يروى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ حين قال: لا يخلوَنَّ رجل بمغزية[٣]، وإن النساء لحمٌ على وَضَم[٤].

(١) مسنتون: أصابتهم السَنَة، وهي الجدب. وعجاف: جمع أعجف، وهو الهزيل.

(٢) الوضم: الخوان الذي يوضع عليه اللحم عند الشواء.

(٣) المغزية: التي غزا زوجها.

(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (رقم ٢١٤ ط دار النفائس)، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية (٣/ ١٤٢)»: «هذا حديث غريب جداً».

أَتَتْك بِحائِنٍ رِجْلاهُ

صاحب هذا المثل هو: الحارث بن جبلة الغساني، قاله للحارث بن عيِّف العبدي، وكان ابن العيِّف قد هجاه، فلما غزا الحارث بن جبلة المنذر بن ماء السماء، كان ابن العيِّف معه، فقُتِل المنذر، وتفرقت جموعه، وأسر ابن العيِّف، فأتي به إلى الحارث بن جبلة، فعندها قال: أتتك بحائن رجلاه، يعنى مسيره مع المنذر إليه، ثم أمر الحارث سيافه الدُّلامص فضربه ضربة دقت منكبه، ثم برأ منها وبه خبل.

وقيل: أول من قاله عبيد بن الأبرص حين عرض للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه وكان قصَده ليمدحه، ولم يعرف أنه يوم بؤسه، فلما انتهى إليه قال له النعمان: ما جاء بك يا عبيد؟ قال: أتتك بحائن رجلاه، فقال النعمان: هلا كان هذا غيرك! قال: البلايا على الحوايا، فذهبت كلمتاه مثلا.

أَنا ابْنُ بَجْدَتِها

أي أنا عالم بها، والهاء راجعة إلى الأرض، يقال: عنده بَجْدَةُ ذاك، أي علم ذاك، ويقال أيضاً: هو ابن مدينتها، وابن بجدتها، من مَدَنَ بالمكان وبَجَدَ؛ إذا أقام به، ومن أقام بموضع علم ذلك الموضع، ويقال: البَجْدَةُ: الترابُ، فكأنَّ قولَهم: أنا ابن بجدتها، أنا مخلوق من ترابها، قال كعب بن زهير:

فيها ابن بجدتها يكاد يُذيبه
وَقْدُ النهار إذا اسْتَنَارَ الصَّيْخَدُ[1]

يعني بابن بجدتها الحِرْبَاء، والهاء في قوله: «فيها» ترجع إلى الفَلَاة التي يصفها.

إذا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ

معناه مُيَاسَرَتُك صديقَك ليست بضَيْم يركبك منه، فتدخلك الحمَّية به، إنما هو حسن وتفضل، فإذا عاسَرَك فياسره.

ويُقال: إنّ المثل لُهذَيل بن هبيرة التَّغْلَبيّ، وكان أغار على بني ضبة فغنِم فأقبل بالغنائم، فقال له أصحابه: اقْسِمْهَا بيننا، فقال:

---

(١) الصيخد: عين الشمس.

إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب، فأبَوْا، فعندها قال: إذا عزَّ أخوك فهُنْ، ثم نزل فقسَّم بينهم الغنائم، ويُنشد لابن أحمر:

دَبَبْتُ له الضَّرَاء وقُلْتُ: أبقَى
إذا عَزَّ ابنُ عمِّك أنْ تَهُونا

إنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ

يروى أن أمير المؤمنين علياً ـ رضي الله عنه ـ قال: إنما مثلي ومثلُ عثمان كمثل أثوار ثلاثة كنَّ في أجَمَة: أبيض، وأسود، وأحمر، ومعهنّ فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يَدُلُّ علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيضُ فإن لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكُلُه صفَتْ لنا الأجَمة، فقالا: دونَك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: لوني على لونك، فَدَعْني آكل الأسود لتصفو لنا الأجَمة، فقال: دونَك فكُلْه، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلُكَ لا مَحَالة، فقال: دعني أنادي ثلاثاً، فقال: افْعَلْ، فنادى: أَلَا إني أكِلْتُ يوم أكِلَ الثورُ الأبيضُ، ثم قال عليٌّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ألا إني هُنْتُ ـ ويروى: وَهَنْتُ ـ يوم قتل عثمان، يرفع بها صوته.

يضربه الرجل يُرْزَأ بأخيه.

أنَا ابْنُ جَلا

يُضرب للمشهور والمتعالَم، وهو من قول سُحَيم بن وَثيل الرِّياحيّ:

أنا ابْنُ جَلاَ وطَلاَّعَ الثَّنَايَاَ
مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وتمثل به الحجّاج على منبر الكوفة، قال بعضهم: ابن جلا النهار، حُكي عن عيسى بن عُمَر أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضَرَبَ، ويحتج بهذا البيت، ويقول: لم ينوِّن جلا، لأنه على وزن فَعَل، قالوا: وليس في البيت حجة؛ لأن الشاعر أراد الحكاية، فحكى الاسم على ما كان عليه قبل التسمية، وتقديره: أنا ابنُ الذي يقال له جَلاَ الأمور وكشفها.

أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ

الجُذَيْل: تصغير الجِذْل، وهو أصل الشجرة. والمحكَّكُ: الذي تتحكك به الإبل الجَرْبَى، وهو عُودٌ ينصب في مَبَارك الإبل تتمرَّسُ به الإبل الجَرْبَى. والعُذَيْق: تصغير العَذْق ـ بفتح العين ـ وهو النخلة. والمرَّجب: الذي جُعل له رُجْبَة وهي دعامة تُبْنَى من الحجارة، وذلك إذا كانت النخلة كريمةً وطالت تخوَّفوا عليها أن تنقَعر من الرياح

العواصف، وهذا تصغير يراد به التكبير، نحو قول لبيد:

وكـــلُّ أنـــاسٍ سَـــوْفَ تَـــدْخُـــلُ بَـيْـنَـهُـم
دُوَيْـــهِـــيَـــةٌ تَـــصْـــفَـــرّ مِـــنْـــهـــا الأنـــامـــل

إِنَّهُ نَسِيجُ وَحْدِهِ

وذلك أن الثوب النفيس لا يُنْسَـجُ على مِنْواله عدَّةُ أثواب، قال ابن الأعرابيّ: معنى «نَسِيج وَحْـدِه» أنه واحد في معناه، ليس له فيه ثان، كأنه ثوب نُسِجَ على حِدَته لَم يُنسج معه غيره، وكما يقال نسيج وحده يقال: «رَجُلُ وَحْدِه» ويروى عن عائشة أنها ذكرت عمر ـ رضـي الله عنهما ـ فقالـت: كان والله أحْوَذِياً، ويروى بالزاء، نَسيج وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها، قال الراجز:

جـــاءت بـــه مُـــعْـــتَـــجِـــراً بِـــبُـــرْدِهِ
سَـــفْـــوَاء تَـــرْدِي بِـنَـسِـيـجِ وَحْـــدِهِ

أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَشَرِبَ

يُضـرب لمن طـال عمره، يريدون أكَل وشـرب دهـراً طويلاً، وقال:

كـــم رأيـــنـــا مـــن أنـــاس قَـــبْـــلَـــنـــا
شـــرِبَ الـــدهْـــرُ عَـــلَـــيْـــهِـــمْ وأَكَـــلْ

إنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ

ويروى: «من حيث تؤكَل الكتف».

يُضرب للرجل الداهية.

قال بعضهم: تجري المَرَقة بين لحم الكتف والعظم، فإذا أخذتها من أعلى جَرَت عليك المرقة وانصبَّتْ، وإذا أخذتها من أسفلها انْقَشَرَتْ عن عظمها وبقيت المرقة مكانها ثابتة.

إذَا زَلّ العالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِه عالَمٌ

لأن للعالِم تبعاً فهم به يقتدون، قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غَوَى وأطاعه
قومٌ غَوَوْا معه فَضَاعَ وَضَيَّعا
مثل السفينة إن هَوَتْ في لجة
تَغْرَقْ ويَغْرَقْ كُلُّ ما فيه مَعا

أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ

قال ابنُ الكلبيّ: من حديث النذير العريان أن أبا دُوَاد الشاعرَ كان جاراً للمنذر بن ماء السماء، وأن أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بَهْراء يقال له رقبة بن عامر، فقال له رقبة: صالحني وحالفني، قال أبو داود: فمن أين يعيش أبا دواد؟ فوالله لولا ما تصيب من بَهْرَاء لهلكت. ثم افترقا على تلك الحالة، وإن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة الشام، فبلغ ذلك رقبة، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم وَلَدُ أبي دواد. فخرجوا إلى الشام فقتلوهم وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنَع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً فأنا أحب أن تَتَغَدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا الجفان تُرْفَع وتوضع إذ جاءت جَفْنة عليها أحد رؤوس بني أبي دواد، فقال أبو دواد: أَبَيْتَ اللَّعنَ! إني جارُك وقد ترى ما صنع بي، وكان رقبة جاراً للمنذر، قال: فوقع المنذر منهما في سوءة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: ما يرضيك؟ قال: أن تبعث بكتيبتك الشَّهْباء والدَّوْسَر إليهم، فقال له المنذر: قد فعلت، فوجَّه إليهم الكتيبتيْن، قال: فلما رأى ذلك رقبة من صُنْع المنذر قال لأمراته: الحقي بقومك فأنذريهم، فعمدت إلى بعض إبل البَهْرَانيّ فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها، فعرَّفت، ثم قالت: أنا

النَّذير العُرْيَان، فأرسلتها مثلاً، وعرف القوم ما تريد، فصَعَدوا إلى علياء الشـــام، وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دواد: قد رأيتَ ما كان منهم، أفيُسْكِتك عنِّي أن أعطيك بكل رأس مائتـــي بعير؟ قال: نعم، فأعطاه ذلـــك، وفيه يقول قيس بن زهير العبسي:

سـأفْـعَـلُ مـا بَـدَا لِـي ثُـمَّ آوِي
إلـى جـار كَـجَـار أبـي دُوَاد

وقال غيره: إنما قالوا: «النذير العريان» لأن الرجل إذا رأى الغارة قد فَجَأتْهم وأراد إنذار قومه تجرَّد من ثيابه، وأشار بها ليُعلم أنه قد فجأهـــم أمر، ثم صار مثلاً لكل أمر تُخَاف مفاجأته، ولكل أمر لا شبهة فيه.

إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاريّ، وذلك أنه خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فســأل عن سيّد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شـاهداً، فقالت له أخته: انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبائها فرأى أجْمَلَ أهـــل دهرها وأكملهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسـيّدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لايَدْري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك! فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه

فجعل ينشد ويقول:

يـــاَ أُخْـــتَ خَـيْـــرِ الْـــبَـــدْوِ وَ الْحَـــضَـــارَةْ
كَـــيْـــفَ تَـــرَيْـــنَ فـــي فَـــتًـــي فَـــــزَارَهْ
أَصْـــبَـــحَ يَـــهْـــوَى حُـــــرَّةً مـــعْـــطَـــارَهَ
إِيَّـــــاكِ أَعْـــنِـــي وَاسْـــمَـــعِـــي يـــاَجَـــارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، فقالت: ما ذا يقول ذي عقل أريب، ولا رأى مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أقَمْتَ مكرَّماً، ثم أرْتَحِلْ متى شئت مسلماً، ويقال أجابته نظماً فقالت:

إِنِّـــي أَقُـــــولُ يـــاَفَـــتَـــى فَـــــزَارَهْ
لَا أَبْـتَـغِـي الـــزَّوْجَ وَلَا الـــدَّعَـــارَهْ
وَلَا فِـــــراقَ أَهْـــلِ هـــذِى الْحَـــــارَهْ
فَـــارْحَـــلْ إِلَـــى أَهْـــلِـــكَ بـــاسْـــتِـــخَـــارَهْ

فاسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكراً واسوأتاه! قالت: صدقْتَ، فكأنها اسْـتَحَيَتْ من تسـرُّعها إلى تُهْمته، فارتحل، فأتى النعمان فَحَباه وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها ـ وكان جميلاً ـ فأرسلت إليه أن اخْطُبني إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدهر، فإني سـريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوَّجها وسار بها إلى قومه.

يُضْرب لمن يتكلَّم بكلام ويريد شيئاً غيره.

إنَّك لَتُكْثِرُ الحَزَّ وَتُخْطِئُ المَفْصِلَ

الحز: المَقطعْ والتأثير، والمفاصل: الأوصال، الواحد مَفْصل.
يُضرب لمن يجتهد في السعي ثم لا يظفر بالمراد.

إنّ غَداً لناظِرِهِ قَرِيبُ

أي: لمنتظره، يقال: نَظَرْتُه أي: انتظرته، وأول من قال ذلك قُرَاد بن أجْدَعَ، وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيّد على فرسه اليَحْمُوم، فأجراه على أثَر عَيْر، فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر عليه، وانفرد عن أصحابه، وأخذته السماء، فطلب مَلْجأ يلجأ، فدفع إلى بناء، فإذا فيه رجل من طيء يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له، فقال لهما: هل من مَأوًى؟ فقال حنظلة: نعم، فخرج إليه فأنزله، ولم يكن للطائي غيرُ شاة وهو لا يعرف النعمان، فقال لامرأته: أرى رجلاً ذا هيئة، وما أخْلَقَه أن يكون شريفاً خطيراً، فما الحيلة؟ قالت: عندي شيء من طَحين كنت ادّخرته، فاذبح الشاةَ لأتخذ من الطحين مَلَّة[1]، قال: فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه مَلَّة، وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها، فاتخذ من لحمها

(١) يريد خبز ملة، والملة: الرماد الحار.

مَرَقَــة مَضِيرة[١]، وأطعمه من لحمها وســقاه من لبنها، واحتال له شراباً فسقاه وجعل يُحَدثه بقية ليلته.

فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه، ثم قال: يا أخا طيء اطلب ثَوَابك، أنا الملك النعمان، قال: أفعل إن شــاء الله، ثم لحق الخيل فمضى نحــو الحِيرة، ومكث الطائيّ بعــد ذلك زماناً: حتى أصابته نَكْبة وجَهْد وســاءت حاله، فقالت له امرأته: لو أتيت الملك لأحسن إليك، فأقبل حتى انتهى إلى الحِيرة فوافق يوم بؤس النعمان، فإذا هو واقف في خَيله في الســلاحِ، فلما نظر إليه النعمان عرفه، وســاءه مكانهُ، فوقف الطائيّ المنزولَ به بين يدي النعمان، فقال له: أنــت الطائيّ المنزول به؟ قال: نعم، قــال: أفلا جِئْتَ في غير هذا اليــوم؟ قال: أَبَيْتَ اللعن! وما كان علمي بهذا اليوم؟ قال: والله لو سَــنَح لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لــم أجد بُدّا من قتله، فاطلب حاجَتَك من الدنيا وسَلْ ما بدا لك فإنك مقتول، قال: أَبَيْتَ اللعنَ! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي! قال النعمان: إنه لا سبيل إليها.

قال: فإن كان لا بدَّ فأجِّلْني حتى ألِمَّ بأهلي فأوصى إليهم وأهيِّء حالهم ثم أنصرف إليــك، قال النعمان: فأقم لي كَفيلاً بموافاتك، فالتفت الطائي إلي شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان، وكان يكنى أبــا الحَوْفَزَان وكان صاحب الرِّدافــة[٢]، وهو واقف بجانب

---

(١) المضيرة: مريقة تطبخ باللبن.

(٢) الردافة: أن يجلس الملك والردف على يمينه، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك قعد في موضعه وكان خليفته على الناس.

النعمان، فقال له:

يـــا شـــريـــكـــا يـــا بـــنَ عَـــمـــرو
هـــلْ مـــن المـــوت مَـــحَـــالـــهْ
يـــا أخـــا كـــلّ مُـــضَـــاف
يـــا أخـــا مَـــنْ لاَ أخـــا لـــهْ
يـــا أخـــا الـــنـــعـــمـــان فُـــكَّ الـــيـــ
ـــوم ضَـــيْـــفـــاً قـــد أتـــى لـــهْ
طـــالمـــا عـــالـــج كُـــرَبَ المـــ
ـــوتِ لا يـــنـــعَـــمُ بـــالَـــهْ

فأبي شـــريك أن يتكفَّل به، فوثب إليه رجل من كلب، يقال له: قُراد بن أجْدَع، فقال للنعمان: أبيت اللَّعْن! هو عليّ، قال النعمان: أفعلت؟ قال: نعم، فضمّنه إياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة.

فمضـــى الطائيّ إلى أهله وجَعَلَ الأجَلَ حولاً من يومه ذلك إلى مثـــل ذلك اليوم من قابل، فلمـــا حال عليه الحولُ وبقي من الأجل يوم قال النعمان لقُراد:

فـــإن يَـــكُ صَـــدْرُ هـــذا الـــيـــوم وَلّـــى
فـــإنَّ غَـــداً لـــنـــاظـــره قَـــريـــبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجْله متسلِّحاً كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّين[1] فوقف بينهما، وأخرج معه قُرَاداً، وأمر بقتله، فقـــال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى يســـتوفيَ يومه، فتركه، وكان النعمان يشـــتهي أن يَقْتُل قُرَاداً ليُفْلِتَ الطايئ من القتل، فلما

(٢) الغريان: بناءان مشهوران بالكوفة، والغري في الأصل هو البناء الحسن.